

إيكولوجرافية عنقود العنب

من الوثنية إلى المسيحية بالجزائر خلال الفترة القديمة.

Iconography of the bunch of grapes from paganism to Christianity in ancient Algeria.

بن عفري عائشة^{1*}؛ سراج نجمة².

¹ - مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط؛ معهد الآثار؛ جامعة أبو القاسم سعد الله؛ الجزائر²؛ (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: aicha.benafri@univ-alger2.dz

² - معهد الآثار؛ جامعة أبو القاسم سعد الله؛ الجزائر²؛ (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: nedjma.serradj@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2024/08/17؛ تاريخ القبول: 2024/11/30؛ تاريخ النشر: 2024/12/15.

الملخص:

استخدم الإنسان الرموز لفهم المجتمع الذي يعيش فيه بشكل أفضل، فهي إحدى وسائل التعبير الغير مباشر، وقد استعملت منذ القدم للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمعتقدات، حيث تتنوع الرموز الدينية في الاستخدام والتفسير والتأثير، مما يعزز تعميق الفهم الروحي والتواصل بين أفراد المجتمعات الدينية. ونظرا لظهور المسيحية في جو من التسلط والاضطهاد العنيفة التي وصلت أشدها في عصر الامبراطور ديوكليسيانوس، بدأ الفن المسيحي يعتمد على الرمزية خوفا من بطش السلطة الوثنية، فتولد فن مسيحي يعمل على توصيل

القصص والرسائل الروحية ونقل التعاليم والمعاني الدينية بشكل بصري وجمالي في آن واحد، ولكنه في الحقيقة يرتكز على إرث وثني محلي ممزوج بصيغة دينية جديدة. وفي هذا المقال سوف نتطرق لرمزية عنقود العنب كمثال عن الرمزية الوثنية التي استمرت إلى غاية الفترة المسيحية، من خلال عرض المشاهد الإيكولوجرافية على مختلف المساند كالأنصاب والفسيفساء والأواني الفخارية، لنرى مدى تشابه المعاني والدلالات فيما بينها، ولنتعرف على الدوافع التي أدت لاستمرار استعمال نفس الرموز رغم تغير المعتقدات الدينية.

الكلمات المفتاحية: عنقود العنب؛ إيكولوجرافية؛ المعتقدات؛

ديونيزوس؛ يسوع.

Abstract:

Symbols are a long-standing tool used by human being to better understand the society where he lived, it is one of the means of indirect expression that has been used since ancient times to express ideas, feelings and beliefs, as religious symbols vary in use, interpretation and influence. These symbols enhance the deepening of spiritual understanding and communication between various religious communities. Given the emergence of Christianity in an atmosphere of tyranny and violent persecution, which reached its peak in the era of Emperor Diocletian, Christian art began to rely on symbolism for fear of the oppression of pagan authority. This gives birth to Christian art that works to communicate stories and spiritual messages and convey religious teachings and meanings in a visual and aesthetic way at the same time. However, in fact, it is based on a local pagan heritage mixed with a new religious. We intend to discuss In this article, the symbolism of the bunch of grape as an example of pagan symbol that continued until the Christian period, by displaying iconographic scenes on various supports, such as

steles, mosaics, and pottery. The purpose of this study is to see how similar the meanings and connotations are to each other and learn about the motives that led to the ongoing use of the same symbols despite the change in religious beliefs.

Keywords: Bunch of grape; Iconography; Beliefs; Dionysus; Jesus.

مقدمة:

منذ نشأة الكون سار الإنسان على دروب متنوعة من المعتقدات والمعبودات، فقد قدس الظواهر الفلكية والسماء والأرض وما يخرج منهما وغيرها كثيرا، لملء الفراغ الروحي وخوفا من الكوارث الطبيعية التي كانت تصيبه من الحين للآخر. ولو نظرنا بعيدا قبل ظهور الديانة المسيحية في المغرب القديم لوجدنا المجتمع وثني، يقدس معبودات مختلفة ويرسخ عبادتها من خلال الكتابات ونحت التماثيل، وزخرفة المشاهد الإيكولوجرافية على الأنصاب بأنواعها، وتزيين المنشآت العمومية والخاصة بالنحت والفسيفساء والرسم، وكذلك الحال على الأواني التي يستعملها في حياته اليومية كالمصابيح الزيتية وغيرها. لكن تعدد المعتقدات أدى لصراع مستمر تطور مع تطور المجتمعات القبلية التي صارت جمهوريات وإمبراطوريات فيما بعد، لأن توحيد المعتقد من أساسيات استمرار السيادة، وهذا ما نشأ عنه اضطهادات دينية أدت لكبت المعتقدات واستعمال الرموز كوسائل للتعبير الغير مباشر عنها، ولإلحاح عن الأفكار والمشاعر الدينية.

ومن هنا أردنا تسليط الضوء على تواصل استعمال الرموز الوشية رغم الانتقال من الديانات الاشتراكية القديمة إلى الديانة التوحيدية المسيحية، وقد اخترنا عنقود العنب كنموذج للدراسة، فهل استمرارية استعمال هذا الرمز تعود للخوف من الاضطهادات الدينية؟ أو أن الفنان

المسيحي تبني نفس الرموز السائدة في عقلية المجتمع الوثني الذي سبق انتشار المسيحية؟ أو أنه اعتمد على المناظر الطبيعية للكروم المنتشرة في المنطقة؟ وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التحليلي المقارن، حيث قمنا بعرض دلالات عنقود العنب في الوثنية ثم في المسيحية من خلال وصف وتحليل السندات الإيكنوغرافية التي اخترناها من مختلف مناطق الجزائر القديمة، بهدف استخلاص أوجه التشابه بينهما، وبالتالي توضيح أن الفن المسيحي ما هو إلا استمرارية للفن الوثني.

1 - أهمية زراعة الكروم ومكانتها في المغرب القديم:

لا يمكننا التحدث عن رمزية عنقود العنب بدون التطرق إلى أشجار الكروم، التي عرفت انتشارا واسعا في المغرب القديم حيث يقول قزال إنها شجرة برية كانت تنمو طبيعيا هي وشجرة الزيتون منذ بداية الزمن الجيولوجي الرابع (Stéphane Gsell, 1913 : 161)، كما يذكرها المؤرخ بليوس خلال وصفه للزراعة الإفريقية في واحات الجنوب وهو يقول: "هناك تحت العشرات من شجر النخيل نجد عددا مماثلا من شجر الزيتون وتحتها ينمو شجر التين وتحت شجر التين شجر الرمان وتحت شجر الرمان تنمو كروم العنب وتحت شجر العنب يزرع القمح ثم الخضار أخيرا، وكلها في نفس السنة، تعيش كل شجرة وكل زهرة تحت ظل جارتها" (عقون، 2008: 104) أي أن شجرة العنب قديمة في إفريقيا، إلا أنها ازدهرت وشاعت زراعتها بداية من القرن الثاني تحت الحكم الروماني ونرى ذلك من خلال قانون مانكيانا "Lex Manciana" الذي يمنح حق الملكية والانتفاع للذين

يستصلحون البراري والأراضي القاحلة والمهملة، ويشجع على زراعة الكروم حيث يعفى صاحبها من دفع الأقساط الضريبية إلا بعد الانتفاع بخمسة محاصيل (René Cagnat, 1897:152). ومن هنا نستنتج أن زراعة الكروم حظيت باهتمام كبير وهذا يعود لمكانة العنب والنبذ في حياة الشعوب القديمة دون أن ننسى دورها في الانتعاش الاقتصادي حيث يقول بلينوس أن النبذ الإفريقي يأتي بعد نبذ كريت في الجودة (عقون، 2008:104).

2 - دلالات عنقود العنب في الفترة الوشية:

رمز خصوبة الأرض:

يبدو أن لهذا الرمز مكانة مهمة ومعتبرة في قلب المعتقدات المحلية وهذا راجع للأهمية التي حظيت بها زراعة الكروم كما ذكرنا سابقا. وأول ظهور لرمز عنقود العنب بالمغرب القديم كان على نصب بوني يعود لنهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس ق. م. وهو يمثل إنتاج الأرض ومهدى كبشائر للإله، ولكن بصفة عامة نجد عنقود العنب بكثرة وفي وضعيات مختلفة على أنصاب الإله ساتورن خاصة نهاية القرن الثاني ميلادي وبداية القرن الثالث (Marcel Leglay, 1966:169). إذ نجده على الأنصاب النذرية، يظهر في يد المهدين كهديّة موجهة لشرف هذا الإله الذي بارك الزراعة وبفضله وكرمه أنتجت الكروم في المناطق الداخلية لأنها تعتمد على جهد كبير أكثر من المناطق الساحلية، ولا يمكن الحصول على منتج وفير إذا لم تُقم الشعائر والطقوس وتقدم القرابين (سراج، 2008: 372) كما نرى على النصب النذري المتواجد بمتحف لامبار (الصورة 1)، حيث المهدي يمسك

بيده عنقود عنب كقربان للإله ساتورن. كما تقدم لنا العملات التي سكها الملوك المحليين برهانا آخر على رواج زراعة الكروم وخصوصية الأرض في هذه المنطقة، حيث تظهر عناقيد العنب على بعض القطع النقدية التي سكها الملوك النوميديين (Jean Mazard, 1955:55) (الصورة 2). بالإضافة لعملات مدينة قوراية (Gvnugv) البونية (Jean Mazard, 1955:172) التي يظهر على وجهها الإله بعل حمون وعلى الظهر صورة الإله شدرفة مكلل بأوراق اللبلاب وأمامه عنقود العنب (سراج، 2008: 254) (الصورة 3).



الصورة 2:

عملة الأمير ماستينيسا.

Jean Mazard, (1954) :55



الصورة 1:

نصب نذري مملد

للإله ساتورن.

عن: عليلاش وردية،



الصورة 3:

عملة مدينة قورايا البونية.

Jean Mazard, (1954): 172

رمز الاله ديونيزوس:

العنب هو مصدر الخمر الذي يعتبر دم الاله ديونيزوس (أنظر التعليق رقم 1) والشراب المقدس الذي ينسي الناس أحزانهم وآلامهم (Jean-Claude Belfiore, 2010: 1011)، ويوعدون بعد تناوله بالخلود والحياة الأبدية. كما أن عنقود العنب يأتي على رأس ملحقات الاله ديونيزوس، كما نرى في التمثال المحفوظ بمتحف سيرتا (الصورة 4) باخوس مكلل بعناقيد العنب ويستند على عمود تتدلى منه العناقيد. وفي بعض الأحيان يمثل الاله في عنقود عنب ليجسد الأسطورة التي تروي أن دمه يسيل في المعصرة ليعطي الخمر (سراج، 2018: 22)، كما نرى على الطاولة الجنائزية التي توجد بمدينة أوزيا وهي تعود لنهاية القرن الثاني بداية الثالث ميلادي، معروضة بحديقة إيزلي (الصورة 5) تحمل رمز عنقود العنب مقترنا بالكأس المقدسة التي تملأ بالخمر (قتال، 2021: 427).

وكذلك في المجال الجنائزي، نجد في مدينة شرشال نصب خاص بالطفل *Proclos* (الصورة 6) منحوت عليه صورته وهو يحمل بيده عنقود العنب الذي يرمز للخلود الديونيزي، حيث توجد امثلة أكثر وضوح بمتحف إيجينا في اليونان من بينها (الصورة 7) نصب زخرفت عليه امرأة جالسة تحمل بيدها عنقود عنب وتمد به لطفل صغير، في حين تمثل هذه المرأة الحورية "نيزا" مربية الطفل ديونيزوس والتي ستتكفل بهذا الطفل الميت مثلما فعلت مع ديونيزوس وعنقود العنب هنا يرمز للخلود الأبدي (Claude Vatin, 1983 : 65-74).

كذلك الحال على أنصاب الاله ساتورن الجنائزية، أين يرمز عنقود العنب للخلود والأزلية مثله على غرار الخمر الذي يعتبر كشراب يجلب اللطف والرفق الإلهي ويؤمن الأبدية السماوية المفرحة للمتوفي (Marcel Leglay, 1966 :196)، كما نرى على نصب مدينة تيمقاد (الصورة 8) أين يظهر عنقود العنب في يد المتوفي.

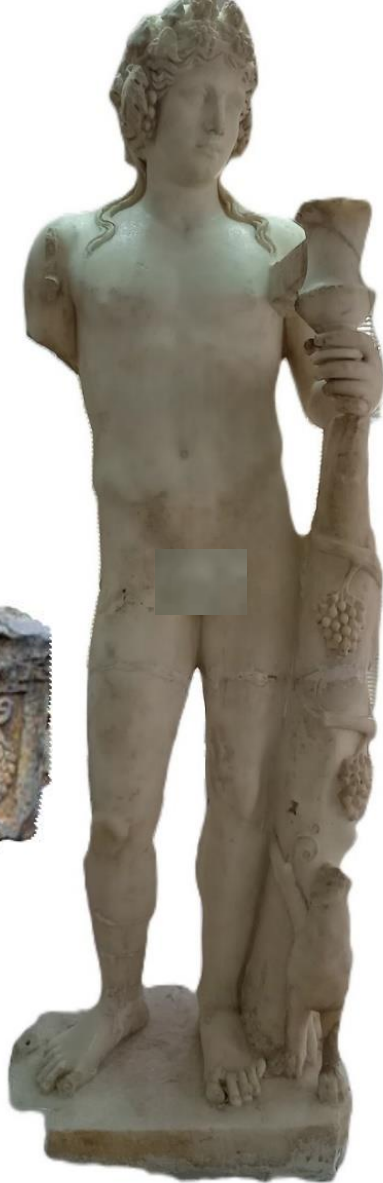
وتجدر الإشارة هنا، إلى اقتران الصفات الألوهية والمراسيم الطقوسية بين الالهين ديونيزوس وساتورن وهذا ليس غريب عن السكان المحليين لشمال افريقيا القديمة الذين جمعوا بين كبار الالهة (سراج، 2008 : 373).

الصورة 4:

تمثال باخوس بمتحف سيرتا
عن: المؤلف (2022).



الصورة 5: طاولة جنازية
عن: قتال مريم، (2021).



الصورة 6:

نصب الطفل Proclos

عن:

Claude Vatin, (1983) :65



الصورة 7:

نصب متحف ايجينا باليونان

عن:

Claude Vatin, (1983) :67



الصورة 8:

نصب جنازي

عن: عليلاش وردية، (2018)



تزيين المنشآت:

نظرا للمكانة المقدسة التي احتلها عنقود العنب، نجده منحوتا في كل الواجهات ويزخرف مختلف العناصر المعمارية حتى بالمنازل، كما هو الحال بمنزل باخوس في الفناء الأول على الساكف (Linteau) المعروف بحديقة متحف جميلة، (طواهي، 2014: 184) (الصورة 9)، نحتت على احدى جانبيه عروق كرمية يتدلى منها عناقيد العنب، وعلى الجانب الثاني أرنب بري يقضم من عنقود العنب الذي يتدلى من سويقات الكرمة (Mohand Akli) Ikherbane, Abdelouaheb (Lounissa, 2018: 364).

كما يظهر عنقود العنب في الفسيفساء بصورة وافرة ونذكر على سبيل المثال فسيفساء قاطفي العنب الموجودة بمتحف جميلة (الصورة 10) والتي تعود للقرن الثالث ميلادي وكانت تزين قاعة استقبال منزل أوروبا (سراج، 2008: 225) حيث يظهر على الجزء المتبقي منها، قاطف عنب صغير يتسلق أغصان الدالية المثقلة بعناقيد العنب، ويقطف واحدا منها، حيث تصنف هذه اللوحة التزيينية ضمن المشاهد الديونيزية.



الصورة 9:
ساكف بمنزل
باخوس
عن: المؤلف
(2021)

3 - دلالات عنقود العنب في الفترة المسيحية:

رمز خصوبة الأرض:

لطالما بحث الإنسان عن أجود الأماكن لتعميرها والامتداد عليها، ومن أهم العناصر التي شددت الإنسان القديم هي خصوبة الأرض لأن قوته اليومية اعتمد على الزراعة والرعي قبل الصناعة. ومن هنا نجد رواية المستكشفين العبرانيين الذين أرسلهم النبي موسى عليه السلام للاطلاع على أرض الكنعانيين أرض الميعاد التي وعد بها الله عليه السلام العبرانيين (320: Michèle Broze, Philippe Talon, 1996)، وهذا حسب ما جاء في العهد القديم (أنظر التعليق رقم 2) «وَأَتَوْا إِلَى وَادِي أَشْكُولَ، وَقَطَفُوا مِنْ هُنَاكَ زَرْجُونَةً بَعُنْقُودٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعِنَبِ، وَحَمَلُوهُ بِالذُّقْرَانَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرُّمَانِ وَالتِّينِ. وَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، وَهَذَا ثَمَرُهَا» (سفر العدد 13: "23-27").



الصورة 10:

جزء من فسيفساء

قاطني العنب بمتحف جميلة

عن: المؤلف (2021)

حيث نجد هذا المشهد (الصورة 11) المتمثل في اثنين من المستكشفين الإثني عشر، يحملان عنقود عنب كبير بواسطة تمتد على كتفيهما، كدليل على خصوبة أرض الميعاد عند العبرانيين، وقد تبنى المسيحيين هذا المشهد وأصبح يعبر عن خيرات الجنة (L'abbé Martigny, 1877: 797) التي وعد بها يسوع اتباعه المؤمنين.

رمز يسوع:

يعتبر عنقود العنب من الرموز الرئيسية ليسوع (Louis Réau, 1957: 31) وهو ذو معنى مقدس وعميق حيث يمثل دم المسيح، وهذه الفكرة مستوحاة من التضحية التي قام بها (جورج فيرجيسون، 1964: 78). حيث نجدها مذكورة في العهد الجديد كالتالي: «أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي» (مت 26: 26-28).

لذا نجد القربان المقدس الذي يوضع في كل الأماكن المقدسة (الصورة 12) يتكون من ثلاث رموز أساسية وهي: العنب الذي يعصر ليصبح خمر، وسنابل القمح التي تعجن للحصول على الخبز، بالإضافة للصليب (Barbier de montault, 1898: 283)، كما نرى على تابوت سكيكدة (الصورة 13) صورة المسيح متمثلة في الراعي الصالح وعلى جانبيه كأسين مقدسين الأول مليء بعناقيد العنب والثاني مليء بالخبز (جاما، 2018: 72).

كذلك نجد عنقود العنب زخرف على المصابيح الزيتية (الصورة 14) كما نرى في المصباح المحفوظ بمتحف قسنطينة في قاعة العبادة

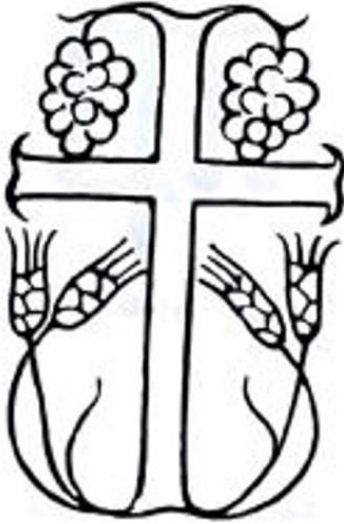
تيديس (فورالي، 2012: 174)، طبع عليه زخرفة الكأس المقدسة (الباطية) تخرج منها أغصان الكرمة وتتدلى منها عناقيد العنب، وهي أكثر المواضيع شهرة في الإيكولوجيا المسيحية (Gérard-Henry 95: 2009, Baudry) فقد جسد يسوع في الباطية المقدسة التي عادة ما تملأ بالخمير الذي يمثل دمه كما ذكرنا سابقا، والأغصان تمثل المؤمنين الذين يتبعون تعاليمه وهم متشابكين تعبيرا عن الأخوة والمحبة بينهم، وبالتالي تخرج منهم الثمار (عناقيد العنب) كدليل على فوزهم برضى الرب؛ وهذا استنادا لما جاء في العهد الجديد حيث يقول المسيح: "أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَتَّبِعُنِي وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَتَّبِعُنِي فِي يَطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُوهُ وَيَطْرَحُوهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ، لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا، إِنْ تَبَّعْتُمْ فِيَّ وَتَبَّتْ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ، بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُوا تَلَامِيذِي" (يوحنا 15: 5-8).

الصورة 11:

مصباح زيتي

عن: جرد متحف سيرتا، (2022).





الصورة 12:

رمز القربان المقدس

عن:

Broze et Talon, (1996) :320



الصورة 13:

تابوت الراعي الصالح بسكيكدة

عن: المؤلف (2024)

تزيين المنشآت:

في بعض الأحيان استعملت زخرفة عنقود العنب في المنشآت العمومية بغرض التزيين فقط (23: François Baratte, 2021)، كما نرى على إحدى قواعد أعمدة بزيليكّا تبسة الخالية (الصورة 15). كما

نذكر نموذج زخرفي آخر، في دير مدينة تبسة الذي يعود للفترة البيزنطية على تاج أحد أعمدة الأتريوم (Albert Ballu, 1897: 19) نحت عنقود عنب يتوسط زخارف نباتية مختلفة (الصورة 16).

كما يزخر فن الفسيفساء بدوره بأمثلة متعددة تجسد عنقود العنب مثل فسيفساء قاطفي العنب الموجودة بمتحف عنابة (الصورة 17) والتي كانت بمنزل قرب البزيليك في الحي المسيحي وهي تعود لنهاية القرن الثالث ميلادي بداية الرابع (سراج، 2018: 209)، تمثل مشهد مكون من أغصان الدالية المثقلة بعناقيد العنب، يقفز بين تلك الأغصان قاطفي العنب إما لقطع العناقيد أو لحمل السلال أو لسحق العنب بأرجلهم داخل الكأس المقدسة. ولدينا كذلك فسيفساء تبسة (الصورة 18) تعود لنهاية القرن الثالث ميلادي بداية الرابع (Nedjma Serradj, Mohamed Cherif Hamza, 2023: 380)، تمثل مشهد قاطفي العنب وهم يقومون بجني ثمار الكروم. كما نجد نفس المشهد (الصورة 19) على فسيفساء ضريح سانتا كوستانزا بإيطاليا (Aurèle Cucuat, 2002, p. 61)، علما أنها ذات طابع ديونيزي كما ذكرنا سابقا ولكن مصدرها مسيحي. هكذا يظهر جليا أن الفنان المسيحي قد وظف موضوع وثني بحث خلال الفترة المسيحية وكيفه حسب معتقداته الجديدة، فقد أصبح قاطفي العنب يمثلون الملائكة الذين يهدون المسيحيين ثمار الجنة المتمثلة في العنب (سراج، 2018: 211). كما أن مشهد قاطفي العنب لا ينحصر على فن الفسيفساء فقط، بل شاع استخدامه على سندات أخرى من فن النحت الجنائزي كذلك مثل

تابوت قسطنطينية (الصورة 20) المحفوظ بمتحف الفاتيكان والذي يؤرخ
بالقرن الرابع ميلادي (Marie Pardyova, 1997 :146).

الصورة 14: مصباح زيتي بمتحف سيرتا
عن: فورالي حميدة، (2012)



الصورة 15:

قاعدة عمود

عن:

Baratte, (2021) :24

الصورة 16:

تاج عمود

عن:

Ballu, (1897) :19





الصورة 17:

فسيفساء

قاطفي

العنب بمتحف

عناية

عن: المؤلف

(2024)



الصورة 18:

جزء من

فسيفساء قاطفي

العنب بمتحف

تبسة

عن: المؤلف

(2022)



الصورة 19: جزء من فسيفساء ضريح سانتا كوستانزا بإيطاليا

عن: <https://www.alamyimages.fr>



الصورة 20: تابوت قسطنطينية بمتحف الفاتيكان

عن: <https://www.museivaticani.va>

خاتمة:

تطورت المسيحية في وسط وثني، أي أن عقول الناس مشبعة بالأفكار والطقوس الوثنية مما أدى بالفنان المسيحي للبحث عن مكانة في هذا المجتمع المضطهد من طرف السلطة الوثنية، فلم يتردد في استعارة بعض الرموز والصور الشائعة الاستخدام للتعبير عن مشاعره ومعتقداته وكان على ثقة أن المسيحيين المقتنعين بدينهم سوف يتقبلون هذه الرموز بدلالاتها الدينية الجديدة. تفاديا لبطش السلطة المتعصبة للوثنية، فقد استعملت رموز مستوحاة من الميثولوجيا الاغريقية والرومانية مثل عنصر الخمر الذي اعتبر شراب الخلود الديونيزي واكسير الحياة عند الوثنيين ثم أصبح في ظل الديانة المسيحية الشراب المقدس ورمز القربان المقدس كذكرى للعشاء الأخير للنبي عيسى عليه السلام، أي أنه تم استبدال الاله ديونيزوس الوثني باليسوع المسيحي وبقيت نفس الرموز توظف للتعبير عن المعتقد رغم اختلاف الديانات.

كما أن الطبيعة تعد مصدر الهام لكل الفنون ففيها يرتاح النظر ويهدأ البال، مما أكسب الفنان خيالا خصبا، فنقل لنا أحاسيسه ومشاعره من خلال الزخارف الفنية التي جسدها في مختلف الأماكن والمنشآت، كعناقيد العنب المتدلية من أغصان الكروم التي شاعت زراعتها آنذاك.

أما بالنسبة للأنصاب النذرية المهداة للإله ساتورن التي يظهر عليها عنقود العنب في شكل باكورة تهدى للإله، فهي مقدمة لشكره على المنتج الوفير الذي انتجته الأرض بفضل لطفه وكرمه.

وكذلك استعمل هذا الرمز للتعبير عن خصوبة الأرض كما رأينا ذلك على عملات المملكة النوميدية والمدن الموريطانية، هذا فيما يخص الفترة الوثنية. أما في الفترة المسيحية فنجد موضوع خصوبة وخيرات ارض الميعاد عند العبرانيين تقابلها الجنة عند المسيحيين، يعبر عنها بمشهد المستكشفين العبرانيين اللذان يحملان عنقود عنب كبير.

ومنه فإن رمز عنقود العنب عرف انتشارا واسعا في كل انحاء الإمبراطورية الرومانية وحتى قبل وجودها، وهذا ما رأيناه من خلال الأمثلة التي استشهدنا بها. فنستطيع القول إن الفن المسيحي ما هو إلا استمرارية للفن الوثني، حيث تطور تدريجيا وادخل رموز وثنية بصبغة دينية مسيحية جديدة، ليعود الإنسان الذي لا يستطيع تغيير فكره جذريا من أول وهلة، بالإضافة إلا أن هذا الأسلوب المتبع يعمل على جلب الناس للديانة الجديدة، فاستعمال نفس الرموز القديمة في قالب جديد يجلب عامة الناس المتعودين عليها منذ قرون ويبعث في نفوسهم الطمأنينة.

التعليقات:

1. ديونيزوس هو إله إغريقي يقابله باخوس عند الرومان وشدرفة عند القرطاجيين والبولنيين.
2. يؤمن المسيحيون بكتابين مقدسين: العهد القديم المتمثل في التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام، والعهد الجديد المتمثل في الإنجيل الذي أنزل على النبي عيسى عليه السلام الذي يدعى بـ: يسوع أو المسيح عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- جاما كاتيا، (2018)، الزخرفة المسيحية على المعالم الأثرية في مقاطعة نوميديا دراسة زخرفية وإيكولوجية، أطروحة دكتوراه في (علم الآثار)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 2- سراج نجمة، (2008)، الكروم والخمر في الجزائر القديمة: معطيات أثرية وإيكولوجية حول زراعة الكروم وتصنيعها وعبادة إله العنب والخمر في المرحلة القديمة، رسالة ماجستير في (علم الآثار)، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- 3- سراج نجمة، (2018)، فسيفساء التيازوس الديونيزي بشمال إفريقيا الرومانية (دراسة إيكولوجية تحليلية)، أطروحة دكتوراه في (علم الآثار)، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- 4- طاهري حكيمة، (2014)، منازل شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية دراسة لمنازل الجزائر القديمة (دراسة تخطيطية وتحليلية)، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 5- عقون محمد العربي، (2008)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر.
- 6- علياش وردية، (2018)، النحت النذري والجنائزي في مقاطعة نوميديا في الفترة الرومانية، أطروحة دكتوراه في (علم الآثار)، معهد الآثار، جامعة الجزائر2.
- 7- فورالي حميدة، (2012)، جرد المصاييح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري، مذكرة ماجستير في (علم الآثار)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 8- فيرجيسون جورج، ترجمة زاهر رياض، (1964)، الرموز المسيحية ودلالاتها.
- 9- قتال مريم دنيا صليحة، (2021)، النحت النذري والجنائزي بمقاطعة موريطانيا السطلافية من خلال الأنصاب، الصندوقيات، التوابيت، الموائد، المذابح (دراسة تحليلية)، رسالة دكتوراه في (علم الآثار)، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- 10- الكتاب المقدس، التوراة سفر العدد 13: 23-27.
- 11- الكتاب المقدس، إنجيل متى 26: 26-28.

12- الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا 15: 8-5.

13-Albert Ballu, (1897). *Monastère byzantin de Tébessa*, Paris.

14-Aurèle Cucuat, (2002). *Mémoire de maîtrise d'histoire de l'art*, université de Nancy II, France.

15-Claude Vatin, (1983). *Une épigramme funéraire grecque de Cherchel*, in : *Antiquités africaines*, 19, pp.65-74.

16-François Baratte, (2021). *La sculpture en Numidie à la fin de l'Antiquité, Saint Augustin*, Ausonius éditions, pp. 153-171 .

17-Gérard-Henry Baudry, (2009). *Les symboles du christianisme ancien Ier-VIIe siècle*, Ed. CERF, France.

18-Jean-Claude Belfiore, (2010). *Dictionnaire des Croyances et Symboles de l'Antiquité, Larousse*.

19-Jean Mazard, (1955). *Corpus numidiae mauretaniaeque*, N° 99 et N° 100.

20-L'abbé Martigny (M.), (1877). *Dictionnaire des antiquités chrétiennes*, Paris.

21-Louis Réau, (1957). *Iconographie de l'Art Chrétien*, T.II., Paris.

22-Marcel Leglay, (1966). *Saturn africain histoire*, Ed.E. de Boccard, Paris.

23-Marie Pardyova, (1997). *Les sarcophages paléochrétiens de dimensions monumentales*, Sborník prací Filozofické fakulty brněnské univerzity. N, -Řada klasická, vol. 46, iss. N2, pp. 137-148.

24-Michèle Broze, Philippe Talon, (1996). *Dictionnaire des symboles*, Belgique.

25-Mohand Akli Ikherbane, Abdelouaheb Lounissa, (2018), *Djemila (Cuicul) : un lapin grignotant une grappe de raisin, Revue d'études archéologiques*, Volume 16, Numéro 1, P. 355-365.

26-Nedjma Serradj, Mohamed Cherif Hamza, (2023). *L'imagerie dionysiaque dans les mosaïques tardives de l'Algérie antique, The 14th Conference of AIEMA Nicosia 15-19 October 2018*, Proceedings II, Edited by Demetrios Michaelides, University of Cyprus, Athens, p-p.372-383.

27-René Cagnat, (1897). Inscription d'Henchir-Metich, in : *C.R.A.I.*, 41, N°2, pp. 146-153.

28-Stéphane Gsell, (1913), *Histoire ancienne d'Afrique du nord*, T. I., Paris.

29-Xavier Barbier de montault, (1898). *Traité d'iconographie chrétienne*, T.I., Paris.

30-<https://www.alamyimages.fr>

31-<https://www.museivaticani.va>

